<u>لله دَرُّك يا ابن عباس:</u>

الدَّرُّ هو اللبن الكثير

لله عملك، ويقال: هذا لمن يمدح ويتعجب من عمله، فإذا ذمّ عمله قيل: لا دَرَّ دَرُّه.

هو البحر حبر الأمة وترجمان القرآن: عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كنيته :أبو العباس، وهو أكبر أولاده.

مولد عبدالله بن عباس:

ولد ابن عباس قبل الهجرة بثلاث سنين؛ أي: في العام العاشر من بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم.

صفات ابن عباس الخلقية:

كان عبدالله بن عباس أبيض، طويلًا، مشربًا صفرة، جسيمًا، وسيمًا، صبيح الوجه، له وفرة، يخضب بالحناء.

قال ابن جريج: كنا جلوسًا مع عطاء بن أبي رباح في المسجد الحرام، فتذاكرنا ابن عباس، فقال عطاء: ما رأيت القمر ليلة أربع عشرة إلا ذكرت وجه ابن عباس.

قال عكرمة: كان ابن عباس إذا مرَّ في الطريق، قالت النساء في البيوت: أمَرَّ بائعُ المسك، أم مَرَّ ابن عباس؟

إسلام ابن عباس:

أسلم عبدالله بن عباس قبل أبيه، وهاجر مع أبويه إلى المدينة عام فتح مكة؛ أي: في العام الثامن من الهجرة.

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس:

(1)روى البخاري عن ابن عباس، قال: ضمَّني النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدره، وقال: ((اللهم علِّمْه الحكمة)).

(2) روى البخاري عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل الخلاء، فوضعت له وضوءًا، قال: ((من وضع هذا؟)) فأخبر، فقال: ((اللهُمَّ فقِّهْه في الدين)).

<u>@ حرص ابن عباس على طلب العلم:</u>

تعليم النبي صلى الله عليه وسلم له:

رو الترمذي وأحمد عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»

2 @ روى الحاكم عن عبدالله بن عباس، قال: "لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهم اليوم كثير"، فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك، وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم، قال: "فتركت ذاك، وأقبلتُ أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان يبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه، وهو قائل فأتوسَّد ردائي على بابه يسفي الريح عليَّ من التراب فيخرج فيراني"، فيقول: يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما جاء بك؟ هلا أرسلت إليَّ فآتيك؟ فأقول: "لا، أنا

أحق أن آتيك"، فأسأله عن الحديث، فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني، فيقول: "هذا الفتى كان أعقل مني"؛ (إسناده صحيح) .

3 @روى ابن سعد عن أبي سلمة الحضرمي قال: سمِعت ابن عباس يقول: كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار، فأسألهم عن مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما نزل من القرآن في ذلك، وكنت لا آتي أحدًا منهم إلا سُرَّ بإتياني؛ لقُربي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعلت أسأل أُبيَّ بن كعب يومًا، وكان من الراسخين في العلم عما نزل من القرآن بالمدينة، فقال: نزل بها سبع وعشرون سورة، وسائرها بمكة.

@اجتهاد ابن عباس في نشر العلم:

روى عبدالله بن عباس ألفًا وستمائة وستين حديثًا.

(1) روى البخاري عن عكرمة، قال: أُتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس، فقال: لو كنت أنا، لم أحرقهم؛ لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تعذبوا بعذاب الله، ولقتلتهم؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ بدَّل دينَه فاقتلوه))؛

(2)روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يُدخِلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لمَ تُدخِل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟! فقال: إنه ممَّن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رُئيتُه دعاني يومئذٍ إلَّا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ *وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ [النصر: ١، ٢] حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئًا، فقال لي: يا بن عباس، أكذاك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجَلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ فتح مكة فذاك علامة أجلك ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر: ٣]، قال عمر: ما أعلم منها إلَّا ما تعلم.

(3) قال أبو صالح: لقد رأيت من ابن عباس مجلسًا لو أن جميع قريش فخرت به، لكان لها فخرًا، لقد رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد يقدر على أن يجيء، ولا أن يذهب، قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه، فقال لي: ضع لي وضوءًا، فتوضَّأ وجلس، وقال: اخرج وقل لهم من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه فليدخل، فخرجت فآذنتهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به، وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثره، ثم قال إخوانكم فخرجوا، ثم قال اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله، فليدخل، قال فخرجت فآذنتهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به، وزادهم مثل ما سألوه عنه أو أكثر، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا، ثم قال: اخرج، فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل، فخرجت فقلت لهم، قال: فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا، ثم قال اخرج، فقل: من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل، قال: فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا ثم قال: اخرج، فقل: من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل، قال: فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، قال أبو صالح: فلو أن قريشًا كلها فخرت بذلك، لكان فخرًا، فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس".

@ أقوال سلفنا الصالح في عبدالله بن عباس:
(1)قال عمر بن الخطاب لعبدالله بن عباس: والله، إنك لأصبح فتياننا وجهًا، وأحسنهم عقلًا، وأفقههم في كتاب الله عز وجل.

(2)روى ابن سعد عن عائشة أنها نظرت إلى ابن عباس وحوله الناس ليالي الحج، وهو يسأل عن المناسك، فقالت: هو أعلم من بقي بالمناسك.
(3)قال سعد بن أبي وقاص: ما رأيت أحدًا أحضر فهمًا، ولا ألبَّ لبًّا، ولا أكثر علمًا، ولا أوسع حلمًا من ابن عباس، ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات، ثم يقول: عندك قد جاءتك معضلة، ثم لا نجاوز قوله (نسير تبعًا لرأيه) وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار.

(4)قال عبدالله بن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس.

(5)قال طلحة بن عبيدالله: لقد أعطي ابن عباس فهمًا، وعلمًا، ما كنت أرى عمر بن الخطاب يُقدِّم عليه أحدًا.

(6)قال أبي بن كعب وكان عنده ابن عباس، فقام، فقال: هذا يكون حَبْر هذه الأمة، أرى عقلًا وفهمًا، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُفقِّهه في الدين.
(7)قال عبدالله بن عمر بن الخطاب: أعلمنا ابن عباس.

(8)قال عبدالله بن عمرو بن العاص: ابن عباس أعلمنا بما مضى، وأفقهنا فيما نزل، ومما لم يأت فيه شيء.

(9)لما مات عبدالله بن عباس، قال رافع بن خديج: مات اليوم من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب في العلم.

(10)قال معاوية بن أبي سفيان لعكرمة (مولى ابن عباس): مولاك والله أفقه مَنْ مات ومَنْ عاش.

(11)قال طاوس: ما رأيتُ رجلًا أعلم من ابن عباس ؛ أدركت نحوًا من خمسمائة من الصحابة، إذا ذاكروا ابن عباس، فخالفوه، فلم يزل يُقرِّرهم حتى ينتهوا إلى قوله.

(12)قال سعيد بن المسيب: عبدالله بن عباس أعلم الناس .

(13)قال محمد ابن الحنفية، لما دفن ابن عباس: اليوم مات رباني هذه الأمة.

(14)قال مسروق: كنت إذا رأيت ابن عباس، قلت: أجمل الناس، فإذا نطق، قلت: أفصح الناس، فإذا تحدَّث، قلت: أعلم الناس.

(15)قال عكرمة (مولى ابن عباس): كان ابن عباس في العلم بحرًا ينشق له الأمر من الأمور.

(16)قال مجاهد بن جبر: ما رأيت أحدًا قطُّ مثل ابن عباس؛ لقد مات يوم مات، وإنه لحَبْر هذه الأُمَّة.

وقال مجاهد أيضًا: كان ابن عباس يسمى البحر من كثرة علمه؛ .

.

(17)قال الحسن البصري: كان ابن عباس يقوم على منبرنا، فيقرأ البقرة وآل عمران فيُفسِّرهما آيةً آيةً.

(18)قال يزيد بن الأصم: خرج معاوية حاجًّا معه ابن عباس، فكان لمعاوية موكب، ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم.

(19)روى الحاكم عن شقيق قال: خطب ابن عباس وهو على موسم الحج، فافتتح سورة النور، فجعل يقرأ ويُفسِّر، فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمِعت كلام رجل مثله، لو سمعته فارس والروم لأسلمت.

(20)قال القاسم بن محمد: ما رأيت في مجلس ابن عباس باطلًا قطُّ.

@@ مناظرة ابن عباس للخوارج

الخوارج هؤلاء هم من نسل هذا الرجل:

روى الشيخان عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذُهَيْبَةٍ فَقَسَمَهَا بَيْنَ الأَرْبَعَةِ الأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الحَنْظَلِيِّ، ثُمَّ المُجَاشِعِيِّ، وَعُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الفَزَارِيِّ، وَزَيْدٍ الطَّائِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ، وَعَلْقَمَةَ بْنِ عُلاَثَةَ العَامِرِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلاَبٍ، فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ، وَالأَنْصَارُ، قَالُوا: يُعْطِي صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدَعُنَا، قَالَ: «إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ». فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ العَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الوَجْنَتَيْنِ، نَاتِئُ الجَبِينِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ مَحْلُوقٌ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: «مَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُ؟ أَيَأْمَنُنِي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَلاَ تَأْمَنُونِي» فَسَأَلَهُ رَجُلٌ قَتْلَهُ، - أَحْسِبُهُ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ - فَمَنَعَهُ،[فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: «لَا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي» قَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ، وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ»] فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: " إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا، أَوْ: فِي عَقِبِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ "

كان التمهيد لظهور هذه الفرقة هو مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

روى أحمد وغيره عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ادعوا لي بعض أصحابي» ، قلت: أبو بكر؟ قال: «لا» . قلت: عمر؟ قال: «لا» . قلت: ابن عمك علي؟ قال: «لا» . قالت: قلت: عثمان؟ قال: «نعم» ، فلما جاء، قال: «تنحي» . فجعل يساره، ولون عثمان يتغير، فلما كان يوم الدار وحصر فيها، قلنا: يا أمير المؤمنين، ألا تقاتل؟ قال: " لا، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلي عهدا، وإني صابر نفسي عليه.

أسباب الفتنة:

ذكر الشيخ عثمان الخميس بعض الأسباب وراء فتنة قتل عثمان وهي:

السبب الأول: وهو سبب رئيس: رجل يهودي يقال له عبد الله بن سبأ:

وعبد الله بن سبأ هو يماني يهودي أظهر الإسلام ثم انتهج التشيع لعلي رضي الله عنه وهو الذي تنسب إليه فرقة السبئية الذين قالوا بألوهية على رضي الله عنه.
السبب الثاني : الرخاء الذي أصاب الأمة الإسلامية في زمن عثمان رضي الله عنه:
حتى قال الحسن البصري: قلما يأتي على الناس يوم إلا ويقتسمون فيه خيرا حتى إنه ينادي تعالوا عباد الله خذوا نصيبكم من العسل، تعالوا عباد الله خذوا نصيبكم من المال.
وذلك لأن الجهاد كان في أوجه في زمن عثمان رضي الله عنه والرخاء من عادته أن يورث مثل هذه الأشياء وهي التذمر وعدم القبول وذلك لبطر الناس وعدم شكرهم.
السبب الثالث : الاختلاف بين طبع عثمان وطبع عمر رضي الله عنهما، كان عمر رضي الله عنه شديدا وكان عثمان رضي الله عنه رءوفا ، غير أنه لم يكن ضعيفا كما يدعي كثير من الناس ، بل كان حليما ، ولذلك عندما حاصروه في البيت قال : « أتدرون ما جرأكم علي ؟ ما جرأكم على إلا حلمي ..
قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : والله لقد نقموا على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما تكلم منهم أحد.
إذن لماذا نقموا على عثمان؟ لأن عثمان كان يسامح ويترك ويفوت لهم تلك الأخطاء ويعفو رضي الله عنه وأرضاه .
السبب الرابع : استثقال بعض القبائل لرئاسة قريش :
القبائل العربية التي دخلت في الإسلام وبخاصة تلك التي ارتد بعض رجالها عن دين الله تبارك وتعالى ثم رجعوا بقوة السيف بعد أن قوتلوا فرجع بعضهم إلى الإسلام عن قناعة وبعضهم من غير قناعة وبعضهم رجع وفي القلب شيء ، أولئك استثقلوا أن تكون الرئاسة دائمة في قريش ، لماذا الرئاسة في قريش ؟ ولذلك يقول ابن خلدون : « وجدت بعض القبائل العربية الرئاسة على قريش وأنفت نفوسهم فكانوا يظهرون الطعن في الولاة ، ووجدوا في لين عثمان فرصة لذلك .
خرج أناس من أهل البصرة وأناس من أهل الكوفة وأناس من أهل مصر ، وجاءوا إلى المدينة في السنة الخامسة والثلاثين من هجرت النبي صلى الله عليه وسلم يظهرون أنهم يريدون الحج ، وقد أبطنوا الخروج على عثمان رضي الله عنه وأرضاه .
واختلف في أعدادهم فقيل إنهم ألفان من أهل مصر وألفان من أهل الكوفة وألفان من أهل البصرة ، وقيل إن الكل ألفان وقيل غير ذلك ، وليست هناك إحصائية دقيقة ، ولكنهم لا يقلون عن ألفين ولا يزيدون عن ستة آلاف بأي حال من الأحوال.
دخلوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أولئك القوم من فرسان قبائلهم ، جاءوا لعزل عثمان ، إما بالتهديد وإما بالقوة وحاصروا بيت عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه في أواخر ذي القعدة وأمروه أن يخلع نفسه من الخلافة ، واستمر الحصار إلى الثامن عشر من ذي الحجة ، وهو يوم مقتل عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه .
وقيل إن الحصار استمر أربعين يوما وقيل غير ذلك ولكنه لا يزيد عن الواحد والأربعين يوما .
حوصر عثمان منزله في بيته ومنع من الصلاة بل ومن الماء : بعد أن حوصر عثمان تسوروا عليه البيت فقتلوه رضي الله عنه وهو واضع المصحف بين يديه.
((واستمر الأمر كذلك بعد قتل عثمان رضي الله عنه ووقعت الفتنة بين الصحابة التي ظهرت على إثرها فرقة الخوارج، الذين خرجوا على علي رضي الله عنه بعد حادثة التحكيم، وكفروا مرتكب الكبيرة، وبعض كبار الصحابة مثل علي ومعاوية رضي عنهما)).

قال ابن عباس - رضِي الله عنه -: لَمَّا خرجت الحَرُوريَّة، اعتَزلُوا في دارٍ على حدتهم، وكانوا ستَّة آلاف، فقلت لعلي: يا أمير المؤمنين، أبرِد بالصلاة، لعلِّي أكلِّم هؤلاء القوم.

قال: إني أخافهم عليك.

قلت :كلاَّ إن شاء الله، فلَبِستُ أحسنَ ما يكون من حُلَل اليمن، وترجَّلتُ، ودخلت عليهم في دارٍ نصف النهار وهم يأكُلون) هكذا في مُعظَم الروايات، وفيه رواية: وهم قائلون (في نحر الظهيرة.

فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس، فما هذه الحُلَّة؟
قلت: ما تَعِيبون عليَّ؟ لقد رأيت على رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - أحسنَ ما يكون من الحُلَل، ونزلت :﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾]الأعراف: ٣٢.[

قالوا :فما جاء بك؟
قلت لهم: أتيتُكم من عند أصحاب النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - المهاجرين والأنصار، ومن عند ابن عمِّ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - وصهره، وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأوِيله منكم، وليس فيكم منهم أحدٌ؛ لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون.

فقال بعضهم: لا تُخاصِموا قريشًا؛ فإن الله يقول :﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾]الزخرف: ٥٨.[
قال ابن عباس: وما أتيت قومًا قطُّ أشد اجتهادًا منهم، مُسهِمة وجوههم من السهر، كأن أيديهم وركبهم تثنى عليهم، فمضى مَن حضر.

فقال بعضهم: لنُكلِّمنَّه ولننظرنَّ ما يقول.
قلت: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وابن عمِّه.

قالوا: ثلاث.
قلت :ما هن؟
قال: أمَّا إحداهن، فإنه حكَّم الرجال في أمر الله، وقال الله :﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ ﴾ [الأنعام: ٥٧]، ما شأن الرجال والحكم؟
يقصدوا معركة صفين التي كانت بين علي ومعاوية وأنتهت بالتحكيم، أي: توقفوا عن القتال بأن رفعت المصاحف على الرماح، ورضي علي رضي الله عنه بالتحكيم، ورجع إلى الكوفة ورجع معاوية إلى الشام على أن يكون التحكيم في رمضان، وأرسل علي أبا موسى الأشعري، وأرسل معاوية عمرو بن العاص.

التقى عمرو بن العاص مع أبي موسى الأشعري فقال: ما ترى في هذا الأمر؟ قال أبو موسى: أرى أنه – أي علي - من النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم،

فقال عمر وبن العاص: فأين تجعلني أنا ومعاوية؟ قال أبو موسى: إن يستعن بكما ففيكما المعونة، وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما. ثم انتهى الأمر على هذا فرجع عمرو بن العاص إلى معاوية بهذا الخبر ورجع أبو موسى إلى علي به.

قلت: هذه واحدة.

قالوا: وأمَّا الثانية، فإنه قاتَل ولم يَسْبِ ولم يغنم، إن كانوا كفَّارًا لقد حلَّ سبيهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حلَّ سبيهم ولا قتالهم.
يقصدوا معركة الجمل التي خرجت فيها أم المؤمنين عائشة مع طلحة والزبير يطالبون بالقصاص لعثمان.
قلت: هذه ثِنتان، فما الثالثة؟

قالوا: ومَحَا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أميرَ المؤمنين فهو أمير الكافرين!

قلت :هل عندكم شيء غير هذا؟
قالوا: حسبنا هذا.

قلت لهم: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله - جلَّ ثناؤه - وسنَّة نبيِّه - صلَّى الله عليه وسلَّم - ما يردُّ قولكم، أترجعون؟
قالوا: نعم.

قلت: أمَّا قولكم: حكَّم الرجال في أمر الله، فإني أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صيَّر حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم؛ فأمر الله - تبارك وتعالى - أن يحكموا فيه، أرأيت قول الله - تبارك وتعالى :- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾]المائدة: ٩٥.[

وكان من حُكْمِ الله أنَّه صيَّره إلى الرجال يَحكُمون فيه، ولو شاء حكَّم فيه، فجاز من حكم الرجال، أنشدكم بالله :أحكم الرجال في صَلاح ذات البين وحقن دمائهم أفضل، أو في أرنب؟
قالوا: بلى؛ بل هذا أفضل.

وقال في المرأة وزوجها :﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٣٥]، فنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأة؟
قالوا: اللهم بل في حقن دمائهم وإصلاح ذات بينهم.

•خرجت من هذه؟
قالوا: نعم.

قلت :وأمَّا قولكم: قاتَل ولم يَسْبِ ولم يَغْنَم، أفتَسْبُون أمَّكم عائشة؟! تستحِلُّون منها ما تستَحِلُّون من غيرها وهي أمُّكم؟ فإن قلتم: إنَّا نستَحِلُّ منها ما نستَحِلُّ من غيرها فقد كفرتم، وإن قلتم: ليست بأمِّنا فقد كفرتم؛ ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾]الأحزاب: ٦.[
فأنتم بين ضلالتين فأتوا منها بمخرج؟ فنظر بعضهم إلى بعض.

•أفخرجت من هذه؟
قالوا: نعم.

وأمَّا قولكم: محا نفسَه من أمير المؤمنين /، فأنا آتيكم بما ترضون، قد سمعتم أن نبي الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يوم الحديبية صالَح المشركين، فقال لعلي: ((اكتب يا علي: هذا ما صالَح عليه محمد رسول الله))، قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتَلناك، فقال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((امحُ يا علي، اللهمَّ إنك تعلم أني رسول الله، امحُ يا علي، واكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله))، فوالله لَرَسُولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - خيرٌ من علي، وما أخرَجَه من النبوَّة حين محا نفسه، أخرجت من هذه؟
قالوا: نعم.
فرجع منهم ألفان، وخرج سائِرُهم فقُتِلُوا على ضلالتهم، قتَلَهم المهاجرون والأنصار.

@ هذه الفتن المتلاحقة في الأمة إنما منشأوها من يوءالفهم وعدم العلم وإتباع كل ناعق.

وفاة عبدالله بن عباس:
روى الحاكم عن سعيد بن جبير قال: مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته، فجاء طير لم ير على خلقته ودخل في نعشه، فنظرنا وتأملنا هل يخرج فلم يرَ أنه خرج من نعشه، فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر، ولا يدري من تلاها :﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ *ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً *فَادْخُلِي فِي عِبَادِي *وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

أصيب ابن عباس بالعمى في أواخر حياته، ومات عام ثمان وستين من الهجرة، وكان عمره إحدى وسبعين عامًا، وصلى عليه محمد ابن الحنفية.

رحم الله عبدالله بن عباس رحمةً واسعةً، وجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء، ونسأل الله تعالى أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى من الجنة.